اتاه من السقيا من اداوة فاشتد بذلك بلواه ومعه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه
فنذر لئن جاء عشرة بنين وصاروا اعوانا ليذبحن احدهم لله قربانا ثم احتفر عبد
المطلب زمزم فكانت له فخرا وعزا فلما تكامل بنوه عشرة وقرت عينه بهم نام ليلة عند
الكعبة المطهرة فراي في المنام قايلا يقول يا عبد المطلب اوف بنذرك لرب هذا
البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقرا والمساكين ثم نام
فراي ان قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فراي ان
قرب ما هو اكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا واطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب
ما هو اكبر من ذلك فقال وما اكبر من ذلك فقال قرب احد اولادك الذي نذرته
فاغتم غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفا فقالوا انا نطيعك
فمن تذبح منا فقال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح سهم بغير نصل ثم ليكتب فيه
اسمه ثم اتوا به ففعلوا واخذ اقداحهم ودخل على هبل وكان في جوف الكعبة وكانوا
يعظمونه ويضربون بالقداح عنده فيستقسمون بها اي يرتضون بما يخرج
لهم ثم يضرب بها القيم الذي لها قال فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح وقام
يدعو الله تعالى فخرج على عبد الله وكان احب ولده اليه فقبض عبد المطلب على
يد ولده عبد الله واخذ الشفرة ثم اقبل على اساف ونايلة صنمين عند الكعبة
لينحره ويذبح عندهما النسايك فقام اليه سادة قريش فقالوا ما تريد ان تصنع فقال
اوف بنذري فقالوا لا ندعك ان تذبحه حتى تعذر فيه الى ربك ولين فعلت هذا
لا يزال الرجل ياتي بابنه فيذبحه ويكون سنة وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة
قيل اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغني في كتاب المبهمات وذكر ابن اسحق
ان اسمها سجاح فلعلها ان تامرك بامر فيه فرج لكم فانطلقوا حتى اتوها بخيبر فقص
عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم قالوا عشرة من الابل فقالت
ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها
بالقداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل ثم اضربوا ايضا هكذا حتى
يرضى ربكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضي ربكم وتخلص صاحبكم فرجع القوم
الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح
على ولده ولم يزل يزيد عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل
فنحرت الابل وتركت لا يصد عنها انسان ولا طاير ولا سبع ولهذا روي عند الزمخشري
في الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال انا ابن الذبيحين وروى الحاكم في المستدرك عن
معاوية ابن ابي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه اعرابي فقال
يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا هلك المال وضاع العيال فعد علي مما
افاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه الحديث

ولابي

ولابي تتمته قريبا ان شا الله تعالى يعني بالذبيحين عبد الله واسماعيل بن ابراهيم وان كان
قد ذهب بعض العلما الى ان الذبيح اسحق فان صح هذا فالعرب تجعل العم ابا قال الله تعالى
اخبارا عن بني يعقوب عليهم الصلاة والسلام ام كنتم شهدا اذ حضر يعقوب الموت اذ قال
لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابايك ابراهيم واسماعيل واسحق
فجعل اسماعيل ابا وهو عم ومعنى حديث معاوية الموعود بتتمته قريبا قال معاوية ان
عبد المطلب لما امر بحفر زمزم نذر لله ان سهل الامر فيها ان ينحر بعض
ولده فاخرجهم فاسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه اخواله من بني مخزوم
وقالوا ارض ربك وافد ابنك ففداه بماية ناقة فهو الذبيح الاول واسماعيل الذبيح الثاني
قال ابن القيم ومما يدل على ان الذبيح اسماعيل انه لا ريب ان الذبح كان بمكة ولذلك
جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار تذكيرا
بشان اسماعيل وامه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم ان اسماعيل وامه هما اللذان
كانا بمكة دون اسحق وامه ثم قال ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم اهل الكتاب ومن
تلقى عنهم لكانت القرابين بالشام لا بمكة وايضا فان الله سمى الذبيح حليما لانه لا احلم ممن
اسلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحق سماه عليما وايضا فان الله اجرى العادة
البشرية ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سال ربه الولد
ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة منصب
يقتضي توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك فيها فلما اخذ الولد شعبة من قلب
الوالد جاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فامر بذبح المحبوب فلما اقدم على
ذبحه وكانت محبة الله اعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينيذ من شوايب
المشاركة فلم يبق في الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هي في العزم وتوطين النفس
وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرويا انتهى وقد انشد
بعضهم:
ان الذبيح هديت اسماعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * واتى به التفسير والتاويل
ومما ذكره المعافا ابن زكريا ان عمر بن عبد العزيز سال رجلا اسلم من علما اليهود اي
ابني ابراهيم امر بذبحه فقال والله يا امير المومنين ان اليهود ليعلمون انه اسماعيل ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب ان يكون اباكم للفضل الذي ذكره الله عنه فهم يجحدون
ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق ابوهم انتهى فانظر ايها الخليل ما في هذه القصة
من السر الجليل وهو ان الله تعالى يري عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة
فانه كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحشة والغربة والتسليم الى ذبح
الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل اثارهما ومواطي اقدامهما مناسك لعباده
المومنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين وهذه سنة الله تعالى فيمن يريد رفعه

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)